العرب.. ومستقبل التفاعل الحضاري

Arabs and the Future of Civilizational Interaction

أ. د. مصطفى النشار(*)

ملخص

لاشك أننا نعيش هذه الأيام لحظة تحول حضاري كبرى على كل المستويات وخاصة على المستويين القومي و العالمي، وفى مثل هذه المراحل المفصلية والنقلات التاريخية من الضروري اعمال العقل والتفكير بعمق في كل ما يمكن أن يتخذ من خطوات تضمن لنا النجاة من المخاطر أولا، وكيفية وامكانية المشاركة الفاعلة في الأحداث بإيجابية ثانيا.

كلمات مفتاحية

(العرب، المستقبل، التفاعل الحضاري، التعددية، التفكير)

Abstract

Undoubtedly, we are currently experiencing a moment of significant civilizational transformation on all levels, particularly at the national and global levels. In such critical stages and historical junctures, it is essential to engage in intellectual work and deep thinking about all possible steps that ensure our survival, primarily by addressing risks, as well as exploring how we can actively participate in events positively.

Key words: Arabs, future, civilizational interaction, diversity, thinking.

- **أهمية المستقبل وضورة التفكير فيه:**

إن التفكير فيما يمكن أن تؤول إليه الأمور في المستقبل سواء القريب منه أو البعيد في غاية الأهمية، وكما يقول علماء الاجتماع: إن المجتمع القائم على التنظيم لا يمكنه تجنب التفكير في المستقبل، إذ على أفراده دائمًا أن يحاولوا بقدر الإمكان اكتشاف ما سيكون عليه المستقبل، فمعرفة المستقبل تمدنا بقوة للتأثير عليه، فإذا أمكنك رؤية

(*) أستاذ الفلسفة القديمة، قسم الفلسفة، بكلية الآداب، جامعة القاهرة، ورئيس الجمعية الفلسفية المصرية.

المستقبل فقد تصير من الأغنياء وتنتصر في الحروب ويمكنك تحسين أوضاع المجتمع ولذا فإنه منذ فجر التاريخ قام الإنسان بفحص الخبايا والسرائر ولجأ إلى وسيط الوحي الإلهي عند الإغريق ليقف على ما يخبئه له القدر في جعبته"[١].

وبالطبع فإن التفكير في المستقبل وممكناته رغم أهميته وضرورته إلا أنه محاط بالكثير من عوامل الغموض واللايقين؛ فمن ناحية أنه ممكن وضروري فهو يستند على أسس يمكننا من خلالها تحليل الأحداث في الزمن بطريقة تساعدنا على التنبؤ بالأحداث المتتالية "[٢]. وقد صدق ميلتون فريدمان حينما قال في مقالاته عن علم الاقتصاد الوضعي عام ١٩٥٣م " أن الاختبار الرئيسي لأي نظرية علمية هي قدرتها على التنبؤ "[٣].

أما من ناحية أن التنبؤ بالمستقبل يتسم بالغموض واللايقين فهذا بدهي لأن المستقبل – كما يقول هوج دي جوفنال Hugues de Jouvenel – غير محدد سلفًا ومن ثم تأتي نتائج التنبؤ ربما شديدة التناقض تبعًا لردود أفعالنا سواء كنا من العلماء العارفين أو من الأشخاص العاملين؛ فبالنسبة إلى الشخص العارف سيكون المستقبل مصدر قلق قد يتزايد كلما شعر خطأ أو صوابًا بتسارع التغيرات وتداخل التبعات وتكاثرها وبأن المجتمعات قد تجابه أكثر فأكثر مخاطر تحدق بأنظمة كاملة، وفي المقابل وبصفة شعورية أو لا شعورية يسعى الشخص العامل – الفاعل إلى مقاومة هذا الشعور بالقلق أو بالغم فيحاول أن يتبين وجود ثوابت في نظام الطبيعة وفي النظام الاجتماعي تتيح له بوجه من الوجوه أن يفكر في الفرق بين اليوم والغد كما لو كان مثل الفرق بين الأمس واليوم[٤].

وعلى كل حال فان التنبؤ بالمستقبل رغم صعوبته واللايقين فيه، إلا أن في ذلك تكمن ميزته الأولى والأهم وهي أن المستقبل يظل دائمًا هو مجال للحرية، حرية التفكير فيه وفي ممكناته سواء فيما يحدده المختصون بالتفكير النظري فيه أو الفاعلين فيه أي أولئك الذين يحولون دائمًا النظر إلى عمل، فالمختصون بالتنبؤ يكشفون عن ممكناته، والعاملون فيه يملكون إمكانية التدخل في الأحداث وقت اللزوم لتحويلها إلى مسار ينتفعون به ويحققون من خلاله أهدافهم وفق ما خطط له مخططو المستقبل والمتنبئين بممكناته.

وعلى ذلك يتضح لنا أيضًا أن المستقبل يُعد مجالاً للقدرة على الفعل، إذ من المهم أن يدرك أصحاب القرار الوقت المناسب لهم لاختيار الفعل المناسب لهم، وإلا فالندم سيكون مآلهم بعد ذلك؛ حيث نجد أن بعضهم عادة ما يقول إنني مضطر لأن أتخذ هذا القرار لأنه لم يعد لدي خيار آخر، وهذا يعني ببساطة أنهم قد فاتهم وقت الاختيار لأنهم لم يحسنوا قراءة المستقبل وتركوا الأمر مهملا حتى لم يعد أمامهم خيار في الفعل!

إن ثمة فائدة عظمى من استباق الأفعال، بالتنبؤ بممكنات المستقبل في هذا الأمر أو ذاك حيث أن هذا الاستباق المبني على التنبؤ حتى لو كان ثمة لا يقين في هذا التنبؤ يجعلنا على وعي بممكنات الغد ويخبرنا عن التطورات الممكنة فيه. وحتى لو لم نمتلك حينئذ الوسائل الكافية لتحقيق الأهداف فإننا على الأقل نمتلك بعض القدرة على تغيير الأحداث والتأثير فيها أملاً في مواجهة التحديات!

وعلى كل حال فإننا إذا قلنا أن المستقبل – كما يقول دي جوفنال – مجال قدرة فإن ذلك لا يعني أننا مقتدرون كل الاقتدار على خلق الغد الذي نحلم به! لكن ذلك يجعلنا على الأقل أشبه بملاح ينبغي له في آن واحد أن يحاول استباق الريح التي أخذت تهب وأن يعجل بالرجوع إلى الميناء سالمًا[٥].وقد صدق الفيلسوف الرواقي العظيم سينكا حينما قال: أنه لا توجد رياح مواتية لمن لا يعرف أين يذهب.

وعلى كل حال فإن المستقبل هو مجال للحرية ولممارسة القدرة بفعل العزيمة والإرادة، إنه بدون المستقبل والتفكير فيه وفي ممكناته وبدون خوض تجربة الاختيار بين ممكناته فلا مجال للتقدم خطوة، ولا مجال للإبداع الإنساني الذي بفضله يتحقق التقدم.

- **صور مستقبلية متعددة للتفاعل الحضارى:**

ولما كان التنبؤ بالمستقبل مهما للمهتمين به وخاصة على صعيد التفاعل الحضارى فقد ظهر لدينا صورا متعددة من هذه التنبؤات، كان أشهرها الصورة التي رسم معالمها الفيلسوف الأمريكي صامويل هنتنجتون عام ١٩٩٦ في كتابه "صدام أو صراع الحضارات"؛ حيث حدد من البداية وجهة نظره بالنسبة للنظام العالمي على أساس أنه نظام ليس قوامه الدول بل الحضارات، الثقافات والعقائد والديانات. وجوهره أن الصراع سيكون هو السائد بديلاً عن الحوار أو التنافس!

وفي ضوء ذلك حدد منهجه ورسم نموذجًا أو خريطة مبسطة مجردة ليحدد رؤيته للمستقبل، وهو يرى ضرورة لهذه الخريطة أو ذلك النموذج المجرد لأنه يعتبر أنه لا غنى عنها للفكر والعمل، وهو يحتاج لهذا النموذج لكي يكون قادرًا على الترتيب والتعميم بشأن

الواقع، وفهم العلاقات السببية بين الظواهر، التي يمكن من خلالها التنبؤ بالتطورات المستقبلية، والتمييز بين المهم وغير المهم، وأخيرًا رؤية أي الطرق نسلك لتحقيق أهدافنا(٦).

وتطبيقًا لهذا المنهج وجد هنتنجتون من خلال قراءاته واستطلاعاته أنه قد يكون العالم الآن في حالة فوضى ولكنه ليس بدون نظام بالكلية، وهذه الفوضى العارمة بلا تمييز تقدم لنا بعض المفاتيح لفهم العالم، وذلك من أجل ترتيب الأحداث وتقييم أهميتها والتنبؤ باتجاهات الفوضى والتمييز بين أشكالها وأسبابها المحتملة ونتائجها المختلفة وذلك لاستجلاء خطوط هادية تساعد صانعي السياسة الرسمية(٧).

وفي غمرة تحليلاته الجزئية بلور صورتين من صور الصراع المتوقع من وجهة نظره، أولاً: الصراع بين الإسلام والغرب وقد حدد عوامل زيادة هذا الصراع المتوقع في خمسة عوامل، النمو السكاني الكبير في الدول الإسلامية وزيادة أعداد العاطلين الساخطين الذين يطمحون للاتجاه نحو الغرب، الصحوة الإسلامية التي أعطت للمسلمين ثقة متجددة للتحدي الحضاري، وفي المقابل جهود الغرب المتتالية لتقييم قيمه ومؤسساته من أجل الحفاظ على تفوقه العسكري والاقتصادي، سقوط الشيوعية التي أزالت عدوًا مشتركًا للمسلمين والغربيين وتركهما متواجهين، وأخيرًا الاحتكاك والامتزاج المتزايد بين المسلمين والغربيين بما يثيره في الجانبين من إحساس متزايد لدى كلاً منهم بهويته المختلفة عن الآخر(٨)!

والحقيقة أن هذه العوامل التي حددها هنتنجتون كأسباب للصراع بين المسلمين والغرب متهافتة في مجملها لأنها في واقع الحال ومع افتراض حسن النوايا وليس سوئها يمكن أن تكون عوامل للتقارب وليس للصراع.! وربما تكون هذه الرؤية الصدامية التي بلورها للصراع بين الإسلام والغرب هي التي تسببت في تركيز الولايات المتحدة والغرب على بث الفوضى وإرباك أحوال الدول الإسلامية وخلق الصراعات فيما بين طوائفها، بل أدت في واقع الحال إلى أن تعمل الولايات المتحدة على تربية أجيال من المتطرفين المسلمين لضرب الاستقرار في أنحاء العالم الإسلامي. وهذا ما اتضح على أرض الواقع في كل ما شهده العالمين العربي والإسلامي من صراعات وفوضى وإرهاب!! بينما حقيقة الأمر أن الإسلام كدين ليس صداميا ولا يدعو إلى الصراع بل إلى الحوار المتحضر والتعاون المشترك بين جميع البشر.

أما الصورة الثانية للصراع التي استولدها هنتنجتون برؤيته تلك ومنهجه هذا، فهي الصدام بين أمريكا وآسيا بزعامة الصين، حيث حذر من أن التهاون التجاري بين الدول قد يولد الصراع بقدر ما يحقق من فوائد. ومن هنا اعتبر أن النمو الاقتصادي في آسيا والصين والثقة المتزايدة التي ولدها لدى التجمعات الآسيوية من شأنه أن يمزق السياسة العالمية بثلاثة أساليب: فهو يمكنها من توسيع قدراتها العسكرية ويثير القلق بشأن

العلاقات المستقبلية بين هذه الدول ويعجل باحتمالات الصراع وعدم الاستقرار في المنطقة. وثانيًا أن هذا النمو الاقتصادي الأسيوي يزيد من النفوذ الصيني ويزيد من سيطرتها التقليدية في شرق آسيا وبالتالي يضطر دولاً أخرى إما لأن "تنضم" وتكيف نفسها مع هذا التطور أو لأن " تتوازن " وتحاول احتواء النفوذ الصيني[٩].

ومع تمادي هنتنجتون في تحليلاته الجزئية لأوجه الصراع بين القوى الأسيوية فيما بينها وبين أمريكا والغرب، فإنه في النهاية يعتقد " أن الأكثر احتمالاً أن يكون ماضي آسيا هو مستقبلها. فالخيار أمام آسيا هو بين قوة متوازنة على حساب الصراع أو سلام مضمون على حساب الهيمنة. المجتمعات الغربية قد تختار الصراع والتوازن.. "[١٠].

وفي النهاية يلخص هنتنجتون صورة المستقبل من وجهة نظره فيقول: إن حربًا كونية تشارك فيها دول المركز في حضارات العالم الرئيسية أمر بعيد الاحتمال ولكنه ليس مستحيلاً.. وحرب كهذه قد تنشأ نتيجة تصعيد حرب من حروب خطوط التقسيم بين جماعات من حضارات مختلفة وتضم على الأرجح دولا اسلامية فى جانب ودولا غير اسلامية فى جانب آخر، كما أن التصعيد يصبح أكثر احتمالا إذا كانت دول المركز الإسلامية الطامحة تتنافس لتقديم المساعدة لشركائها في الدين وتصبح أقل احتمالاً بسبب المصالح التي قد تكون لدول القرابة من الدرجة الثانية أو الثالثة في عدم التورط في الحرب[١١].

ذلك هو أحد سيناريوهات الصراع العسكري، أما السيناريو الآخر فهو قد يترتب على تغير ميزان القوى بين الحضارات وبين دول المركز بها؛ فصعود الصين والتوكيد المتزايد "لأكبر لاعب في تاريخ الإنسانية" إذا استمر فسوف يخلق توترًا شديدًا في الاستقرار العالمي. وبزوغ الصين كقوة مسيطرة في شرق وجنوب شرق آسيا سيكون ضد المصالح الأمريكية[١٢]. والطريف أن هنتنجتون يقدم سيناريو تفصيلي لنشوب هذه الحرب الكونية بين أمريكا والصين بدءًا من عام ٢٠١٠م[١٣]. صحيح أن هذه النبوءة لم تتم في الوقت الذي افترضه لنشوب الحرب، لكن هذا السيناريو لايزال يداعب خيال المهتمين بذلك من الجانبين!

ومع كل هذه السيناريوهات الصدامية المرعبة التي يقدمها هنتنجتون فإنه يعود في عرضه لرؤيته الصدامية تلك إلى عقلنة النظام العالمي من منظوره الحضاري فيتحدث عن عالم متعدد الحضارات والثقافات، ويؤكد على أن النظام العالمي ينبغي أن يتيح لكل حضارة من الحضارات الرئيسية مقعد واحد دائم على الأقل في مجلس الأمن لأنه في الوقت الحاضر ثلاث حضارات فقط هي التي لها مقاعد دائمة! ومن وجهة نظر حضارية يقول هنتنجتون: أن اليابان والهند لابد أن تكونا عضوين دائمين، كما أن أفريقيا وأمريكا اللاتينية والعالم الإسلامي لابد أن يكون لهم مقاعد دائمة يمكن شغلها

بواسطة الدول الرئيسية في تلك الحضارات، ويكون الاختيار عن طريق منظمة المؤتمر الإسلامي ومنظمة الوحدة الإفريقية ومنظمة الدول الأمريكية بدون الولايات المتحدة، كما سيكون من الملائم دمج المقعدين البريطاني والفرنسي في مقعد واحد للاتحاد الأوربي يقوم الاتحاد باختيار من يشغله، وهي حصص تمثل توزع البشر والثروة والقوة في العالم بشكل عام "[١٤].

وبالطبع فإن هذه الرؤية لمستقبل النظام العالمي من خلال توسيع نطاق العضوية الدائمة في مجلس الأمن ليتشكل بصورة متوازنة تحقق العدالة بين القوى العالمية وتمثل بصورة أفضل شعوب العالم وثقافاته وحضاراته المختلفة يمكن أن تكون ملمحًا من ملامح المستقبل القريب للنظام العالمي إذا ما أرادت القوى المهيمنة تجنب الصراع والانحياز للعدالة والمساواة والسلام في العالم. فهل هناك من يسعى إلى النظر في هذه اللمحة العادلة التي اختتم بها هنتنجتون كتابه أم أنهم قد توقفوا فقط عند حديثه عن عوامل الصراع وكيفية الاستعداد لسيناريوهات الحروب المحتملة؟! سؤال ينتظر المستقبل الإجابة عليه من كل المعنيين بالمستقبل!

وثمة صورة أكثر تفاؤلاً وربما أكثر مثالية للمستقبل لأحد فلاسفة السياسة العالميين الآن وهو الفيلسوف الفرنسي المعاصر جاك آتالي الذي طرح رؤيته في كتاب يحمل سؤالاً" غدًا..من سيحكم العالم؟"، حيث بدأ عبر فصوله الخمسة الأولى يستعرض تاريخ حكومات العالم منذ بداية التاريخ الانساني حتى حكومة العالم الحالية التي اعتبر أنها بالطبع حكومة الولايات المتحدة الأمريكية وتحدث عنها في فصل جعل عنوانه ازدهار وانحدار حكم أمريكا للعالم (١٩١٤-٢٠١١م) ثم تلاه بفصل عنوانه " الحال الآني لحكومة العالم "، فقد اعتبر أن حكم الولايات المتحدة للعالم كان في حالة مد وجزر حتى عام ٢٠١١م، وبعد ٢٠١١ بدأت صورة أخرى لحكم العالم واعتبر"أن هذه الحكومة ليست سوى مجموعة سلطات متعددة الأطراف تتكامل وتتقاطع وتتناقض أحيانًا غير أنها تعد امتدادا بشكل مضحك في كثير من الأحيان لعمل الحكومات خاصة تلك التي تعد رغم التغييرات الجارية مهيمنة بشكل رئيسي على العالم ونعني بها حكومة الولايات المتحدة الأمريكية[١٥].

إن أمريكا في رأيه ماتزال اليوم هي قلب حكومة كوكب الأرض كشأنها منذ أكثر من قرن مضى، وهي تحكم العالم بمعاونة السلطات العالمية متعددة الأطراف بمعاونة الأمم المتحدة والوكالات التابعة لها وعبر المعاهدات التي تتشارك فيها دول ومنظمات العالم الرسمية منها وغير الرسمية. وهو يرى أن هذا الوضع الذي تسوده الولايات المتحدة حين نتأمله بعمق سنجد أنه مهما طال الوقت " لن نلبث أن نرى الولايات المتحدة مجرد قوة كبرى نسبيًا تظل لبعض الزمن القادم جيشًا كبيرًا وعملة نقدية أساسية وربما الاقتصاد

الأعلى شأنًا ولكن بغير سيادة على عالم كثيف السكان، شديد التركيب والتعقيد، منفلت من أي قيد، وككل سابقاتها لا تأخذ الإمبراطورية الأمريكية مأخذ الجد إلا ما يهدد علاقاتها بمنافسيها بدون أن تكترث بما قد يتهدد مجمل الجماعة البشرية"(١٦).

وعلى ذلك فإن "قلب" العالم مهدد الآن، وينبئ بضرورة ظهور قلب جديد للعالم. ويرى أتالي أنه إذا ما انسحبت الولايات المتحدة من اللعبة في تاريخ يصعب الآن التنبؤ به، فإن المرشح بعدها لتبؤ مركز القوة الأولى في العالم سيكون الصين، ويقول أنه قد بدأ الأيدلوجيون الصينيون بالفعل في الحديث عن السير على نهج إمبراطورية الوسط القديمة لتحويل العالم إلى كيان متناغم بالمعنى الذي جاء في الفلسفة الطاوية كما يتحدثون عن إدارة العالم على النحو الذي كانت تدار به قديمًا إمبراطورية الصين أو تحويل العالم إلى إمبراطورية صينية، ومن المؤكد أنه سيتم للصين من الآن وحتى عام ٢٠٣٠ نموًا يسمح لها بامتلاك القوة العسكرية والاقتصادية التي تمكنها من الهيمنة على العالم، لكنه يرى في النهاية أنه على فرض تمكن الصين من أن تصبح حول هذا التاريخ القوة الأولى عالميًا فلن يكون بوسعها حكم كوكب الأرض بسبب عظم المشاكل التي تواجهه بالإضافة إلى مشاكلها الخاصة الأمر الذي يجاوز قدرتها. ومن خلال تحليلات جزئية لقوى أخرى كالهند وبعض القوى الأسيوية الأخرى والقوى في أمريكا اللاتينية مثل البرازيل والمكسيك، فضلاً عن الاتحاد الأوربي وروسيا يرى أن العالم ربما يعيش فترة فوضى وربما يصبح أشبه بصومال هائل! فالعالم مهدد بانفلات ديموجرافي سكاني هائل، وبحروب متواصلة بسبب المشاكل الإقليمية وعدم الحسم الدولي، وربما يعاني مستقبلاً من نقص في المواد الأولية وندرة الأراضى ومصادر الطاقة، كما أن العالم مهدد أيضًا بمخاطر بيئية جمة قد تؤدي إلى تدمير الطبيعة وربما يكون أخر المخاطر التي سيواجهها العالم مستقبلاً يتعلق بتدمير الحياة على ظهر الأرض عن طريق الاصطدام بالنيازك، ومصدر التهديد الأقرب هو النيزك " أبوفيز ٩٩٩٤٢ – Apophis 99942 " الذي تشير الحسابات الحالية إلى أن نسبة فرصة ارتطامه بالأرض عام ٢٠٣٦م هى واحد إلى خمس وأربعين ألفا. ومن ثم فهو لا يدري الكيفية التي يمكن بها للسلطات الدولية الحالية والتي ليست من بينها سلطة واحدة مختصة التهيئة لمثل هذا الاصطدام أو تفاديه أو إدارة الأمر حال حدوثه(١٧).

والسؤال الآن: ما الحل في رأي آتالي وما هو الشكل الأمثل لقيادة العالم في المستقبل ومن ثم الانتقال من فوضى العالم إلى نظام جديد أكثر حكمة وأكثر توازنًا واعتدالاً؟

يجيبنا على ذلك في الفصلين التاسع والعاشر من كتابه السابق الإشارة إليه حيث يتحدث عن حكومة مثالية للعالم؛ إذ يرى ضرورة التفكير فيما يمكن أن تكون عليه مثل

هذه الحكومة المثالية للعالم وما ينبغي أن تكون هيئاتها. وقد استعرض هو نفسه بعض تصورات الفلاسفة السابقين عن شكل هذه الحكومة؛ فقد تحدث كارل بوبر K. Popper عام ١٩٤٥م في كتابه "المجتمع المفتوح وأعداؤه " عن حكومة عالمية مزودة بجناح عسكري – كما شرح جورجن هابرماس J. Habermas في مؤلفه " بعد الدولة – الأمة: كوكبة سياسية جديدة " أن وجود حكومة عالمية أي حكومة ذات مواطنية عالمية أمر ضروري في مجال حقوق الإنسان، ومن المطلوب أن تزود بأساليب عسكرية لمواجهة أكثر خروقاتها خطورة، ويقترح أيضًا إيجاد وضع سياسي لمواطني العالم ناشئ عن طريق المنظمة العالمية ليس عن طريق دولهم وإنما من خلال ممثلين منتخبين من قبلهم لشغل مقاعد البرلمان العالمي، كما يقترح إنشاء محكمة جنائية دولية وتحويل مجلس الأمن إلى سلطة تنفيذية حقيقية(١٨).

أما الصورة الثالثة للمستقبل فقد تصور ملامحها فلاسفة الصين؛ ففي عام ٢٠٠٣م أصدر المفكر الصيني زهاوتينج يانج Zhao Tingyang الباحث في الأكاديمية الصينية للعلوم الاجتماعية مؤلفين هامين رفض فيهما المفهوم الغربي لحكومة العالم حيث وجد أن الغرب لا يستطيع تصور حكومة العالم إلا في شكل منظمة للأمم مجتمعة، أما هو فقد اقترح إحلال مصطلح "العالمية" محل "دولية" الغربيين، إذ أن العالمية تحافظ على تماسك النسق وتقر التناغم الداخلي للتنوع الذي يمكن إدراكه بالرؤية الكونفوشية. إن كل ما يعيش في العالم في رؤية هذا المفكر الصيني إنما يعيش تحت نفس السماء وعليه أن يتناغم مع الآخرين ويشارك في الحكومة المتناغمة للعالم الذى يعبر عنه مصطلح "التيانكسيا" التى تعني ببساطة تنظيم العالم بدلاً من السيطرة عليه، وفي ذات الاتجاه يتحدث المفكر الاقتصادي الصيني شنج هونج Sheng Hong الأستاذ بجامعة شاندونج قلعة الكونفوشية ومعقلها عن " التيانكسيازم " باعتبارها المذهب الذي ينبغي أن يسمح للصينيين بمجاوزة الحضارة الغربية والتفوق عليها فاتحًا الطريق للسلام الكوني العام. وما قاله هذان المفكران الصينيان يستوجب إدارة العالم بذات الطريقة التي اتبعتها إمبراطورية الصين القديمة، إنهما يرغبان في جعل العالم إمبراطورية صينية(١٩).

وأخيرًا ثمة صورة رابعة لمستقبل العالم يقدمها أحد الفلاسفة الألمان المعاصرين؛ ففي عام ٢٠٠٦م اقترح الفيلسوف أولريك بك Ulrich Beck في مقال له نشر في مجلة Cosmopolitan Vision إيجاد دولة عالمية تتعايش فيها جنسيات مختلفة ويستشعر فيها الناس بأنهم في دولة عالمية قائمة على التسامح وتتجاوز عن الاختلافات القومية. وهو يعرف "الكوزموبوليتانية" أو تعايش الجنسيات المتباينة باعتبارها المفهوم الجديد المسيطر من ناحية دمج العولمة فى السياسة والهوية والمجتمع و"الكوزموبوليتانية" وهي بالنسبة لبك Beck غير بعيدة عن حقائق اليوم؛ فبالنسبة له كل بلد تضع الديموقراطية وحقوق

الإنسان فوق الأتوقراطية أي الاستبدادية وحكم الفرد وفوق القومية، هو في حقيقة الأمر في طريقه إلى الدولة العالمية الضامة لعدة جنسيات.أي الكوزموبوليتانية المتمركزة. ومن هنا فإن القدوم الوشيك لدولة عالمية جامعة لعدة جنسيات يندرج في منطق التاريخ. كل ما هناك أنه لكي يتحقق هذا الغرض المنشود، ينبغي وضع قواعد عالمية للرأسمالية المتوحشة وإجبار الدول – الأمم على الانفتاح على الكوزموبوليتانية أي المواطنة العالمية(٢٠).

والخلاصة أننا أمام عدة تصورات لسيناريوهات المستقبل القريب، ومن الواضح أن الدول الغربية تسعى جاهدة الى الترويج للتصور الأخير بفتح الأفق أمام العولمة الكونية من خلال تقليل رغبتهم الجارفة في الهيمنة المستفزة لصالح عولمة أكثر تسامحا مع الاخر بالترويج لأفكار ورؤى جديدة حول حقوق الانسان والحوار بين الثقافات والديانات وقبول التعددية الثقافية والدينية. في الوقت الذى تتنافس مع هذا الطرح الغربي، الرؤية الصينية الداعية الى العالمية والسلام الكونى عن طريق تنظيم العالم بطريقة متناغمة وليس السيطرة عليه.

ولو دققنا النظر قليلا لرأينا أن كلا الرؤيتين تتجنب الآن – الى حد ما– الحديث عن الصراع وتميلان الى التسامح مع الاخر والتسليم بالتعددية الثقافية والدينية. وما ذلك الا لأنهما يدركان أن الصدام بينهما ربما يكون نتيجته خراب العالم وربما نهاية الجنس البشرى! لكن هذا لايعنى أن الصراع في سبيله الى الزوال، بل العكس هو الصحيح فسيظل صراع القوى بين الغرب بقيادة الولايات المتحدة وبين الشرق الأسيوى بقيادة الصين وربما تتحد معها روسيا بفعل الحرب الأوكرانية حتى يستقر الأمر في النهاية.

والسؤال لايزال هو: الى من ستؤول قيادة العالم؟!

في الحقيقة أن الإجابة على مثل هذا السؤال إجابة قطعية يعد مستحيلا الآن لأننا في اللحظة الحالية في ظل صراع قوى محتدم بين الشرق والغرب؛ فهناك صراع اقتصادي ممثلا في الحرب الاقتصادية بين الصين والولايات المتحدة، وهناك صراع عسكري ممثلا في الحرب بين الغرب الأوربي – الأمريكي وروسيا على الأرض الأوكرانية فضلا عن الحرب التى تشنها صنيعتهم إسرائيل على الفلسطينيين، والتحدي الكبير الآن هو التقليل من هذه الصراعات الاقتصادية والعسكرية للحيلولة دون أن تتحول بالفعل الى حرب عالمية كبرى!

لكننا أمام خيار ثالث يمكننا تزكيته يخرج عن البديلين المتصارعين الآن ويتجاوزهما وهو مايطرحة عقلاء العالم وفلاسفة التاريخ والسياسة الساعين الى رؤية مثالية لعالم عادل يتجاوز تلك الصراعات الاثنية، حيث يمكن أن نعيش فى عالم متعدد الأقطاب

يخضع لحكومة عالمية واحدة ممثلة في منظمة الأمم المتحدة عبر تعديل ميثاقها على أساس توسيع نطاق مجلس الأمن الدولى ليمثل شعوب وقارات العالم تمثيلا عادلا وتكون قراراته ملزمة بأغلبية أصوات أعضائه وإلغاء مايسمى بحق الفيتو لدول بعينها! ومن ثم يكون لهذا المجلس ذراعه العسكري الذى يتدخل لفرض إرادة العدالة الدولية في حالة نشوب أي نزاع أو حرب إقليمية!

والى أن تتحقق هذه الرؤية المثالية اما في المستقبل القريب أو البعيد، فالسؤال الذى يعنينا الآن وبشكل مباشر هو: ما موقف العرب من هذه التفاعلات والصراعات وكيف نتعامل مع التحديات التي تفرضها علينا؟!

***موقف العرب ومدى مشاركتهم في التفاعلات الحضارية الآنية والمستقبلية:**

بداية فان الموقف العربي يتحدد من خلال الوعي بتلك الرؤى والطروحات المستقبلية التي عرضنا لها ومن ثم الالمام بكل تطورات الأحداث العالمية الآنية والمستقبلية، وثانيا يجب علينا النظر بجدية فيما يعانيه مجتمعنا وعالمنا العربي من أسباب للتخلف وعوائق عديدة للتقدم والنهوض ومحاولة القضاء عليها!

وقد عرضت لهذه العوائق في كتابي "الاورجانون العربي للمستقبل" الذى صدر عام ٢٠١٤م وهى باختصار: ١- غياب الإرادة الجماعية العربية وغياب التنسيق الجماعى على صعيد الدول والشركات والأفراد ٢- التخلف الاجتماعي الذى تعاني منه مجتمعاتنا العربية ٣- غياب العدالة والنظام في كثير من دولنا العربية ٤- انهيار سلم القيم التقليدي العربي ٥- غياب الثقافة العلمية وعدم اشاعتها بين جميع الناس والطبقات ٦- غلبة الاقوال على الأفعال في خطابنا اليومي والرسمي ٧ - اهدار طاقات الشباب وعرقلة حركة الأجيال ٨ - عدم الإحساس بالوقت وقيمة الزمن٩ - اهمال لغتنا القومية في الدرس والبحث العلمي ١٠- تدنى مكانة المفكرين والعلماء العرب وعدم الاهتمام بنتائج تأملاتهم الفكرية والاستفادة من بحوثهم العلمية، وقد فصلت الحديث عن هذه المعوقات في ذلك الكتاب.

وإذا أمعنا النظر في هذه المعوقات العشر لنهوض الامة وتقدمها وتوفرت الإرادة العربية بحق، فان التغلب عليها وتجاوز كل تحدياتها يكون ممكنا عبر آليات خمس محددة حددناها أيضا وفصلنا الحديث عنها في كتابنا السابق الإشارة اليه، وهي:

١- تحقيق طفرة نهضوية وحدوية على الصعيدين السياسي والاقتصادي وذلك عبر الدعوة الى قيام اتحاد فيدرالى بين الدول العربية يكون بديلا للجامعة العربية ويكون له حكومة مركزية عربية يختارها القادة العرب من خلال رئيس الاتحاد الذي يمكن أن يعين بالتناوب بينهم، وتكون مهمتها التنسيق بين الحكومات المحلية لهذه الدول وتسخير كل الامكانيات العربية في كل المجالات لخدمة ونهضة الشعوب العربية ككل.

٢- بناء نظام تربوى وتعليمى جديد يقوم على الأخذ بكل المستحدثات العالمية من البرامج والوسائل التعليمية أيا كان مصدرها بشرط أن تكون اللغة العربية هي لغة التعليم ويتم الحفاظ من خلاله على الثقافة والقيم العربية الأصيلة.

٣- النهوض بالبحث العلمى من خلال إعطاء كبار العلماء العرب - بعد استجلابهم من كل العالم- كل الحرية في البحث العلمى وتوفير كافة الإمكانيات المادية التي تمكنهم من حل كل المشكلات والتغلب على كل مايعانى منه المواطن العربي ودوله من تحديات، ومحاولة اللحاق ومساوقة التقدم العلمى العالمى في كل المجالات.

٤- التحول الى عصر مجتمع واقتصاد المعرفة والاستفادة من كل مستجدات العصر في هذا الاطار.

٥- اصلاح وتحديث الخطاب الدينى بما يطلق حرية التفكير والاجتهاد بما لايتعارض مع القرآن الكريم وصحيح السنة النبوية المشرفة.

وأعتقد جازما أننا لو نفضنا عن أنفسنا غبار التبعية والتقليد الأعمى لكل ماهو غربي وركزنا على النهوض بأنفسنا من خلال مواجهة تحدياتنا الداخلية والخارجية بخطط تنموية مستقلة ونابعة من خبرائنا ومستفيدة من كل ما انتهت اليه تجارب الدول المتقدمة في الشرق والغرب، لأمكننا بالفعل المشاركة بفعالية في ركب الحضارة العالمية، وحققنا أهدافنا المستقلة من

هذه المشاركة أيا كان من سيقود ركب الحضارة العالمية مستقبلا.

الهوامش والمراجع

١- ريتشارد ن. كوبر وريتشارد لايارد (محرران): ماذا يخبئ المستقبل للعالم ؟ رؤى من منظور العلوم الاجتماعية، ترجمة: محمد رفعت عواد ومصطفى خلف عبدالجواد، المركز القومي للترجمة (٢٧٧٩)، القاهرة ٢٠١٨م، ص٨.

٢- نفس المرجع السابق، ص١٠.

٣- نقلاً عن نفس المرجع السابق، ص١٠.

٤- هوج دي جوفنال: طبيعة المستقبل، من كتاب " مفاتيح القرن الحادي والعشرين "، وهو مؤلف جماعي تحت إشراف: جيروم بيندي: نشرته منظمة اليونسكو بالاشتراك مع بيت الحكمة بتونس، ترجمة: حمادي الساحلي - عبدالرازق الحليوي وسعاد التريكي، قرطاج ٢٠٠٣م، ص٤٣-٤٤.

٥- نفسه، ص٤٥.

٦- صامويل هنتنجتون : صدام الحضارات ، إعادة صنع النظام العالمى ، ترجمة طلعت الشايب ، الهيئة المصرية العامة للكتاب - مكتبة الاسرة ، القاهرة ٢٠١٤م ص٥٠.

٧- نفسه، ص٥٩.

٨- نفسه، ص٣٤٢.

٩- نفسه، ص٣٤٤-٣٤٥.

١٠- نفسه، ص٣٨٦.

١١- نفسه، ص٥٠٥.
١٢- نفسه، ص٥٠٥-٥٠٦.
١٣- انظر نفس المرجع، ص٥٠٦ وما بعدها.
١٤- نفس المرجع السابق، ص٥١٤.
١٥- جاك آتالي: غدًا من سيحكم العالم ؟ ترجمة سونيا محمود نجا، المركز القومي للترجمة (٢٦٦٢)، القاهرة ٢٠١٦م، ص٢٢٥.
١٦- نفسه، ص٢٧٣.
١٧- انظر: نفس المرجع، ص ص٢٧٤-٢٩٩.
١٨- انظر: نفس المرجع، ص٣٠٧-٣١١.
١٩- نفسه، ص٣١٣-٣١٤.
٢٠- نقلاً عن نفس المرجع، ص٣١٥-٣١٦.